

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر الجزء الثاني

الكاتب: محمد صالح المنجد



الإيمان بالقضاء والقدر يورث التسلیم لحكم الله

وكذلك يكون بالقضاء والقدر إيماناً به يسلم العبد من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، ولا يعترض بكلمة ولا يفعل، مثل النياحة فلماذا تحصل النياحة؟ لما تقطع شعرها، وتشق ثوبها، وتضر وجهاها، تخمش خدها؟ لو أن هناك إيمان قوي بعقيدة القضاء والقدر فإذا مات ولدتها تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، أمما التقطيع والضرب واللطم والكلام الكفري الذي يقع منهم الكلام الكفري فينافق ذلك.

ثم أن بالإيمان بالقضاء والقدر يجده الإنسان فيه ويعزم في أموره، ويأخذ بالنافع ويحصل للأسباب المفيدة؛ لأنَّه يعلم أنَّ نبيه صلى الله عليه وسلم قال: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل" [رواه مسلم: 6945]. رواه مسلم.

ولذلك فإنَّ العبد يشكر ربِّه على ما أنعم به عليه من اندفاع نسمة أو حصول نعمة وأنَّ هذا قضاء من الله تعالى، فيرضى به العبد وتمتنأ نفسه بالرضا عن ربِّه والرضا بباب الله الأعظم، وجنة الدنيا ومستراح العبادين، بل إنَّه يفرح بالقدر "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" [يوسوس: 58].

عندما يكون هذا القدر إيمان بالله وهداية، فإذا قدر الله لك الهدایة تفرح به، وكذلك تحصل الاستقامة على المنهج في السراء والضراء، وعدم اليأس من انتصار الحق، مثل هذا الزمان الذي نحن فيه الآن من كثرة الأعداء وقوتهم وسلطتهم وضعف المسلمين وتأخرهم، هناك من يقول: لا فائدة فقد ضاقت ولا مخرج ولا نصر، فإذا آمنا بقضاء الله وقدره وأنَّ الله على كلِّ شيء قادر، وكما أنه جعل الدولة لهم يقلبها عليهم و يجعلها للمسلمين، عدم اليأس من

انتصار الحق، "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" [آل عمران: 140]. فتكون الدولة للكفار مرة وللمسلمين مرة "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" [آل عمران: 140]. ثم يحصل أيضًا للعبد في هذا الجانب رضا، بمعنى أنه لا يتمنى أن يحدث غير الذي حدث إذا كان مؤمنًا بالقضاء والقدر، ويعلم أن كل قضاء الله له خير، ولا يتأسف على شيء فات وانتهى، فليس مقدارًا لك، بل ربما الإنسان يكتشف أحياناً أن ما فاته كان خيراً له، فمثلاً: رجل ذهب ليحجز للسر يوجد الطائرة ممتلة، وحاول أن يجد واسطات الح عليهم ولكن لافائدة، فأقلعت الطائرة فانفجرت واحتبرقت، فعرف وسرّ بأنه قدّر عليه أنه لا يُقلع فيها.

تجري الأمور على حكم القضاء وفي طي الحوادث محبوب ومكرود وربما سرني ما كنت أحذره وربما ما ساعني ما كنت أرجوه فيكتشف الإنسان أحياناً قصر نظره، أنه كان يسعى في أشياء وليس من مصلحته، وتارك أشياء هي من مصلحته، وكذلك يكتسب عزة النفس والقناعة والتّحرر من رق المخلوقين في مثل قضية الرزق، وأن الرزق عند الله ولن يموت حتى يستوفي رزقه، وأن الله هو حسنه وهو الرزاق ولو قدر له شيئاً من الرزق فلا بد أن يصله، ولا يستطيع إنسان أن يقطع رزق فلان، ولا يقول بعض الناس لا تقطع رزق فلان فليس بصحيح، لكن لا تكن سبباً في قطع شيء معين، لكن ممكن يأتيه غيره، فيفصله من العمل ويرزق ذاك بعمل آخر في شركة أخرى، فالرزق سيأتي، وما يفعله بعض الناس هو أن يكون سبب في قطع شيء أو حصول شيء وذلك مجرد سبب، وإنما فالله هو الذي سخر هذا ليجد له عملاً، وقدر على هذا وجرت الأحداث بأن يفصله من عمله، ولذلك الإنسان إذا رُزق القناعة لم يكن ليلتفت.

رأيت القناعة كنز الغني فصرت بأذیالها ممتسك فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك وصرت غنياً بلا درهم أمر على الناس شبه الملك كما ذكر الشافعي رحمة الله تعالى.

فإِذَا الفوائد كثيرة، والنَّعيم الذي حصل لعدد من النَّاس بسبب الإِيمان بهذه العقيدة والسرور كبير، بحيث يتَّأمل الإنسان فيها، ويريد أن يأخذ من هذه العقيدة ما يُنعش به نفسه، ويُسْرُّ به في حياته، حتى قال عمر بن عبد العزيز رحمة الله: "أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاضِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ" [جامع العلوم والحكم: 195].

وهذا يدخل في كلام شيخ الإسلام رحمة الله: "إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مِنْ لَمْ يَدْخُلَهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ" [المستدرك على مجموع فتاوى 1/153].

وبعض الكفار لما خالطوا بعض المسلمين، بل بعض البدية والأعراب صار عندهم نوع من الدهشة لاستقرار هذا العقيدة في نفوس المسلمين، كما قال هذا الكاتب إنسيبود لي مؤلف كتاب رياح على الصحراء وكتاب الرَّسول، وألف أربعة عشر كتاباً آخر في مقالة بعنوان: عشت في جنة الله، قال: إِنَّه في عام 1918م، وليت ظهر العالم الذي عرفته طيلة حياتي وهي مند شطراً أفريقيا الشمالية الغربية، عشت بين الأعراب في الصحراء قضيت سبعة أعوام أتقنت لغة البدو وارتديت زيَّهم وأكلت من طعامهم، واتخذت مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم أمثالك أغناماً، أنم كما ينامون في الخيام، وتعمقت في فهم الإسلام حتى أني أَلَّفت كتاباً عن محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرُّحل المسلمين من أمتع سنين حياتي وأحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة.

وقد تعلَّمت من عرب الصحراء كيف أتغلَّب على القلق فهم بوصفهم المسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر -لاحظ العبارة هذه التي قالها الشخص هذا الذي كان كافر- يقول: فهم بوصفهم المسلمين الأعراب يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا على العيش بأمان، وأخذ الحياة مأخذًا ليًّا سهلاً، لا يتَّعجلون أمراً ولا يلقون بأنفسهم في القلق، إنهم يؤمنون بأن ما قُدِّر يكُون، وأنَّ الفرد منهم لن يصييه إِلَّا ما كتب الله له، وليس معنى هذا أنَّهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، ودعني أضرب لك مثلاً مما أعنيه: هبت ذات يوم عاصفة عاتية حملت رمال الصحراء، وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط ورمت بها في وادي الرَّون في فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة

الحرارة حتى أحسست، كان شعر رأسي يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحر، وأحسست من فرط القيس كأنني مدفوع إلى الجنون.

ولكن العرب بهذه العاصفة العاتية الغبار لم يشكو إطلاقاً فقد هزّوا أكتافهم وقالوا كلمتهم المأثورة: قضاء مكتوب، لكنهم ما أن مررت العاصفة حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير فذبحوا صغار الخراف قبل أن يود القيس بحياتها، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء، فعلوا هذا كله في صمت وهدوء دون أن تبدوا منهم شكوى، فقال رئيس القبيلة وهو الشيخ: لم نفقد الشيء الكثير فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء، ولكن حمدًا لله وشكراً فإن لدينا نحوًا من أربعين في المائة من ماشيتنا وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد، وقال هذا الكاتب أيضًا: وثمة حادثة أخرى فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يومًا فانفجر أحد الإطارات وكان السائق قد نسي استحضار إطار احتياطي يتولاني الغضب وانتابني القلق والهم وسألت صاحبي من الأعراب ماذا عسى أن نفعل، فذكروني بأن الاندفاع في الغضب لن يجدي فتيلاً بل هو خلائق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق.

ركبنا السيارة وتجرى على ثلات إطارات ليس إلا ثم كفت على السير بنفذ البنزين فلم تثر ثائرة أحد منهم، ولا فارقهم هدوؤهم، بل مضوا يذربعون الطريق سيراً على أقدامهم، قال في نهاية تجربته: قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرحل أنَّ الملائكة ومرضى النفوس

والسُّكيرين الذين تحفل بهم أمريكا وأوروبا ما هم إلا ضحايا المدنية التي تتخذ السرعة أساساً لها، إنني لم أعاني شيئاً من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء، بل هنالك في جنة الله وجدت السكينة والقناعة والرضا، ختم كلامه بقوله: وخلاصة القول إنني بعد انقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء ما زلت اتخاذ مواقف العرب المسلمين الأعراب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، وأفلحت هذه الطبائع التي اكتسبتها من أولئك البدو في تهدئة أعصابي أكثر مما تُفلح آلاف المسكنات والعقاقير، فالاليوم يصرف أطباء النفس المسكنات والعقاقير، ولو يوجد أطباء قلوب يصرفون أشياء تؤدي بهؤلاء إلى الإيمان بعقيدة القضاء والقدر إذا

اكتفينا العقاقير والمسكنات، وكان العلاج أجدى وأنفع وأحسن، وبدون آثار جانبية مُضرة بل هي التي تضع الإنسان على الصراط المستقيم.

المصدر:

<https://almunajjid.com/courses/lessons/323>

الكلمات المفتاحية:

#الإيمان- بالقدر

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.